

# تربية الأبناء

ضرورة اجتماعية كترية الأبناء

بقلم الأستاذ سلامة موسى

الأستاذ "نايل" من خيرة رجال التربية في إنجلترا وهو يدير مدرسة للأطفال الشواذ، أي أولئك الذين يتعبون آباءهم بالعصيان والتشرد والفرار من المدرسة وكراهة الدروس وغير ذلك . وهو يديرها بنجاح ويخرج من هؤلاء الأطفال الذين يشس آباؤهم من إصلاحهم عبقرين يهونون الدرس ويتفوقون فيه بعد أن كانوا يفرون منه . وقد ألف كتابا عن "الطفل الشاذ" أو "الطفل المشكل" قال فيه إن علاجه لهؤلاء الأطفال يمكن تلخيصه في كلمة . هي "الحب" .

وهو يذكر أنه بعد أن عمل رويته في الموضوع وجد أن هؤلاء الاطفال إنما يعودشذوذهم أو إشكالهم الى المعلمين والى الآباء فوضع كتابين أحدهما "المعلم المشكل" و"الأب المشكل" .

ونحن نسلم بأن المعلم يحتاج الى تربية خاصة وتؤسس المدارس للمعلمين حتى يقفوا على المبادئ الحقة للتربية . ولكالآ نؤسس المدارس للآباء حتى يقفوا على المبادئ الحقة للعاشرة الزوجية والاشترار العائلي بين الآباء والأبناء وإدارة البيت الأمثل وتحقيق الصحة والهنا والرفق لسكانه . ونحن نقاخر باتباع الطرق العلمية في الزراعة أو الصناعة ولكن قلنا يخطر ببالنا أن هناك أبوة علمية أو زوجية علمية قائمة على اتباع الطرق العصرية في جلب السعادة وتكوين الشخصية لأفراد العائلة .

وكل منا نسلم بأن الآباء يربون الأبناء تربية حسنة أو سيئة . ولكن هل يتكر أحد منا أن الأبناء أيضا يربون الآباء ؟

إن التربية هي مجموعة اختبارات نظرية أو عملية نستفيد منها في تكوين شخصيتنا وتوجيهنا في الحياة لكي ننتفع نحن والمجتمع بأنفسنا ونعيش الحياة الطيبة . وليس شك في أننا ننتفع بأبنائنا كثيرا من هذه الناحية . فإنهم يزيدون تبعاتنا الاجتماعية فتستقيم بذلك شخصياتنا ويربطوننا بالبيت ويوجهوننا وجهة المستقبل ويعملون الحب بيننا وبين زوجاتنا واجبا بعد أن كان غريزة فقط . بل هم يصونوننا من الشوز الاجتماعي لأن الزوج الأب يمتاز عن الزوج الأعزب — امتيازاً يثبت الاحصاء — بعده عن الجريمة .

ولكن الآباء يحتاجون الى تربية خاصة في عصرنا . عصر المدنية وبيئة المدينة وكلاهما يفري بشفتيك العائلة ويمرضها لعشرات الأخطاء التي لم تكن تتعرض لها العائلة القديمة قبل

خمسين أو مائة من الدين . وكما أن شارع المدينة يختلف عن الطرق القروية القديمة بوفرة أخطاره واحتياج المرور فيه الى أنظمة دقيقة كذلك تتعرض العائلات الحديثة إلى ضروب من الشرور لم تكن تعرفها العائلة القديمة الوادعة في قرينتها الصغيرة النائية . فان سلطة الأب البطريكية قد زالت عن الزوجة بل أحيانا عن الأبناء اذا بلغوا سن معينة . وبعد أن كان البيت بؤرة الاجتماع الوحيدة تشمع المجتمع وتمددت فيه وسائل الاستمتاع والاغراء الحسنة والسببة فأصبح الخطر على البيت كبيرا .

ونجد هذه الحال على أقصاها وأخطرها في الأمم التي جملت الديمقراطية معيشة كما هي مبدأ وفسفة مثل الولايات المتحدة الأمريكية حيث نشأ الشقاق وكثر الطلاق فأنشئت المدارس لتربية الآباء كيف يعيشون لكي يعيدوا الاستقرار السابق للعائلة ويتفادوا من أسباب الشقاق .

وكيف يربي الآباء في هذه الظروف الجديدة ؟

يربي الآباء لكي يخلقوا الجو السعيد والبيئة الراقية ويحبلوا البيت . وهذا حرا للمجتمع حر يخرج أشخاصه ولكل منهم شخصية قوية متماز بصحة الجسم وسلامة النفس ونقاة الذهن واستقامة الأخلاق .

يربي الآباء لكي يعرفوا مقام الأبوة العنوية لأبنائهم ، حتى لا يفسدوا بتدليل أو قسوة ، وحتى يجدوا من آباءهم زملاء يسيرون معهم بالشورى والنصيحة وليس بالأمر والنهي . وحتى يعرفوا أن قدوة الأبوين أمام الأبناء هي من أعظم الوسائل للتربية وأن السنوات الأولى للطفل ليس لها من ناحية التربية وتكوين الأخلاق ، يساويها من القيمة في سائر عمره .

يربي الآباء على الزوجية العلمية ، حتى يدركوا أن الزواج معاشرة وزمالة واحترام وشرف وأنه تفاعل للنمو والرقى ، وأن الزوج محتاج إلى أن ترقيه زوجته كما أن الزوجة محتاجة إلى أن يرقها زوجها . وإهمال أحدهما في كل هذه الاعتبارات يؤدي الأمر ثم يرتد الأذى أيضا على الأول .

يربي الآباء على من المعيشة الصحية حتى يختاروا المسكن الحسن والطعام المفيد لهم ولأولادهم . فان كثيرا من الأمراض التي تفشو بيننا تعود إلى اتباع أسلوب سيئ في العيش بكرهة الهواء المطلق والإنتقال من اللباس ووفرة المواد النشوية وقلة الفيتامينات ونحو ذلك ، والوسط المدني لبعده عن الريف الممتاز بشمسه وطعامه الساذج الطازج ، يحتم علينا العناية بصحتنا ويكبر لهذا السبب من شأن المطبخ عند الآباء .

والبيت الراقى هو البيت المثقف . ولذلك يجب تربية الآباء في الثقافة ، وتفاوت الثقافة بين الزوجين يؤدي إلى اختلاف الأذواق مع اختلاف في اختيار الأصدقاء ومع كراهة للهموم التي يهتم بها أحد الزوجين مما لا يهتم به الثاني .

والبيت الراق هو البيت الذى يشترك فيه الزوجان — مع الأبناء إذا أمكن — فى قراءة الجريدة أو المجلة واختيار الكتب والصور والمنقشات النيرة فى موضوعاتها جميعها .

وعندئذ نجد الزمالة الذهبية سبيلا إلى إيجاد أسعادة العائلة .

وتربية الآباء تقتضى تنظيم الميزانية حتى لا تزيد النفقات على الإيراد ، بل حتى يذخر جزء معين لطوارئ المستقبل .

وهذه الترية هى التى تقينا من الاسراف السخيف فى حفلات الزواج والوفاء .

ومن البذخ السئى فى الضيافة والاسراف فى اللباس والأثاث . فان هذا الاسراف وهذا البذخ هما فى النهاية رغبة أنانية فى الزهو الذى لا يرضاه شخص قد هذبت الثقافة أذواقه وحمته يلتم الاعتدال .

وتربية الآباء تقتضى درس الضيافة باعتبارها فنا اجتماعيا للتعارف والمؤانسة . وليست للضيافة أن نقيم وليمة ونهبي مائدة فنانحربها المطاعم الكبرى بشتى الألوان التى قد نفرى بكلها ونعرض من وفرتها ، وإنما هى تعارف ومؤانسة غايتها ، السرور والرق والتوسع فى الصداقة والزمالة . وليست بيوتنا مطاعم ولا يمكن أن نفخر بأن تكون كذلك وإنما يمكن أن نفخر بأشخاصنا المتمدين الراقين .



إننا نعيش فى عصر قد اشتبكت فيه عوامل اجتماعية مختلفة . وهذه العوامل الاجتماعية تتأثر بالعائلة وتؤثر فيها . والعائلة مع ذلك فى تطور مستمر . وهى مهددة فى كيانها . وقد يكون هذا الكيان أحيانا سيئا تطلب المصلحة الاجتماعية منه . ولكن الشاب أو الفتاة اللذين درسا موضوع العائلة أعززين ومتزوجين — يمكنهما التفادى من هذه الخاتمة السيئة .

والمفكر الاجتماعى لا يبنى أن صبيان الإصلاحيات ينشأون فى عائلات مفككة . وأن النيوروز قد ينشأ من التدليل فى البيت أيام الطفولة . وأن "العود" فى العرف الثانوى عند بعض الأمم قد نقل من الفرد إلى العائلة . وأن البول السكرى قد ينشأ من الطبخ السيئ وأن الخمر قد يلجأ إليها زوج كاره لبيته .

لا يستطيع المفكر الاجتماعى أن يبنى ذلك . ولذلك لا يسهه الا أن يرى أن العائلة هى بؤرة المجتمع الصالح .

سلامة موسى